مُقدّمة

إخوتي الأحبَّاء،

من ضمن سلسلة دراسات أقوم بها، أنطلق من دراسة عن علم الآباء. من المؤكّد أنَّ هذه الدراسة ليست شاملة إنّما هي مدخل كيّ يتثنَّى لنا العمل لاحقًا والتعرّف على بعضٍ مِن كبار الآباء في كنيستنا، وهم من الّذين جاهدوا واستشهدوا ليُحافظوا على الكنيسة وعلى نقل الفكر المستقيم كما تسلَّموه حرفيًا من دون زيادة أو نقصان، آملاً من الربّ أن يوفِّقنا جميعًا كي نكونَ على طريق الإيمان القويم.

مدخل إلى علم الآباء

- الباترولوجيا، أو علم الآباء، هو ذلك العلم الّذي يتناول دراسة الكتابات المسيحيّة للمؤلّفين اللّاهوتيّين فى العصور المسيحيّة كافّة، والّذين تُسمّيهم الكنيسة "آباء الكنيسة". وقد أُطلِقَت كلمة آباء أوَّلًا على آراء المجامِع المسكونيّة .
- تعليم الآباء وعقيدة الكنيسة ما زالا "الرسالة البسيطة" نفسها التي سلّمها وأودعها الرسل مرّة وإلى الأبد. أمّا الآن فهي مترابطة بكل اتّساق وانتظام.
- ليست البشارة الرسوليَّة محفوظة في الكنيسة فقط، بل هي حيّة فيها. بهذا المعنى يكون تعليم الآباء مقولة دائمة للوجود المسيحيّ ومقياساً ثابتاً وسامياً للإيمان القويم.

- الكنيسة الأرثوذكسيّة هي كنيسة رسوليّة ولكنها آبائيّة أيضًا فلا يُمكننا فصل هاتين الصّفَتَيْن بِالمُطلَق فَكون الكنيسة "رسولية" فهي "آبائية" (الأب جورج فلورسكي)

- الآباء ليسوا شهوداً للإيمان القديم فقط، بل هم شهود للإيمان الحقيقي. إنَّ "فكر الآباء" مرجع حقيقيٌّ للّاهوت الأرثوذكسيّ لا يقلُّ شأناً عن كلمة الكتاب المقدس ولا ينفصل عنه أبداً.

القدّيس اغناطيوس الأنطاكي

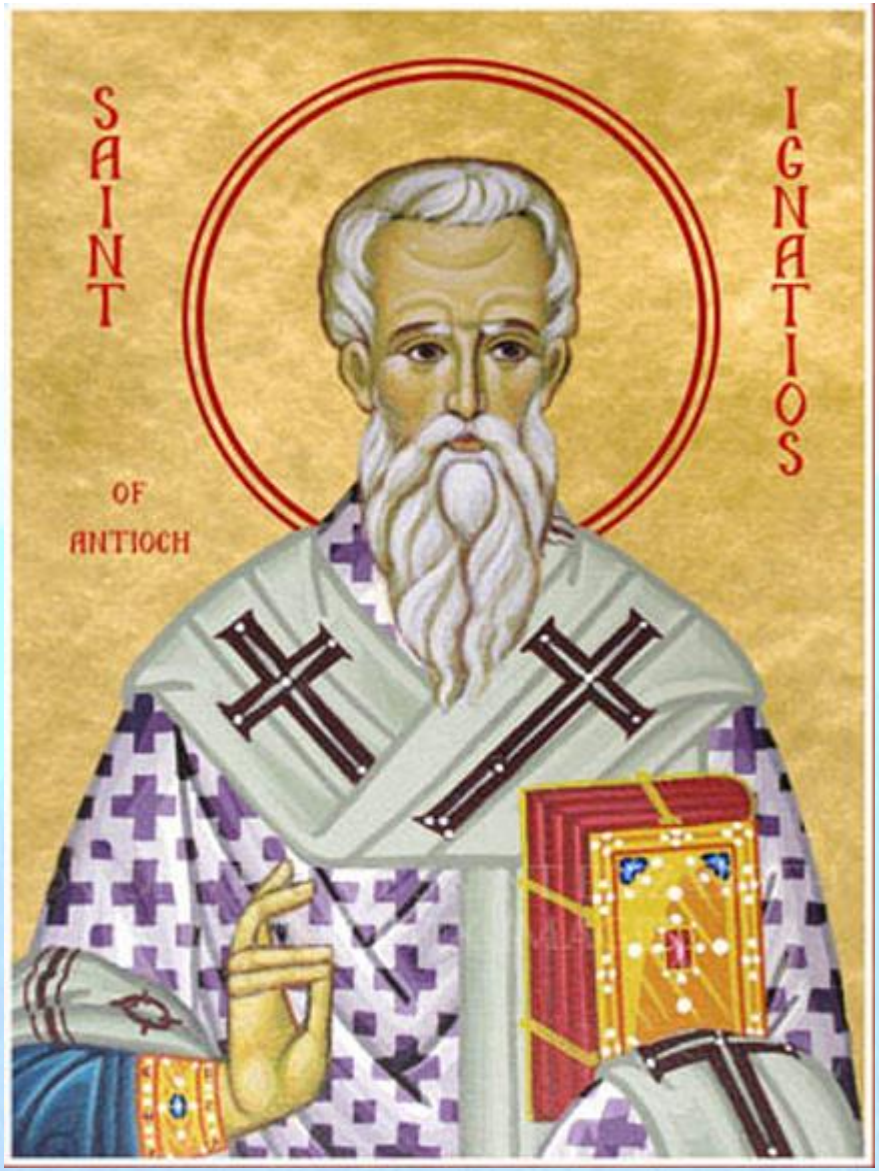

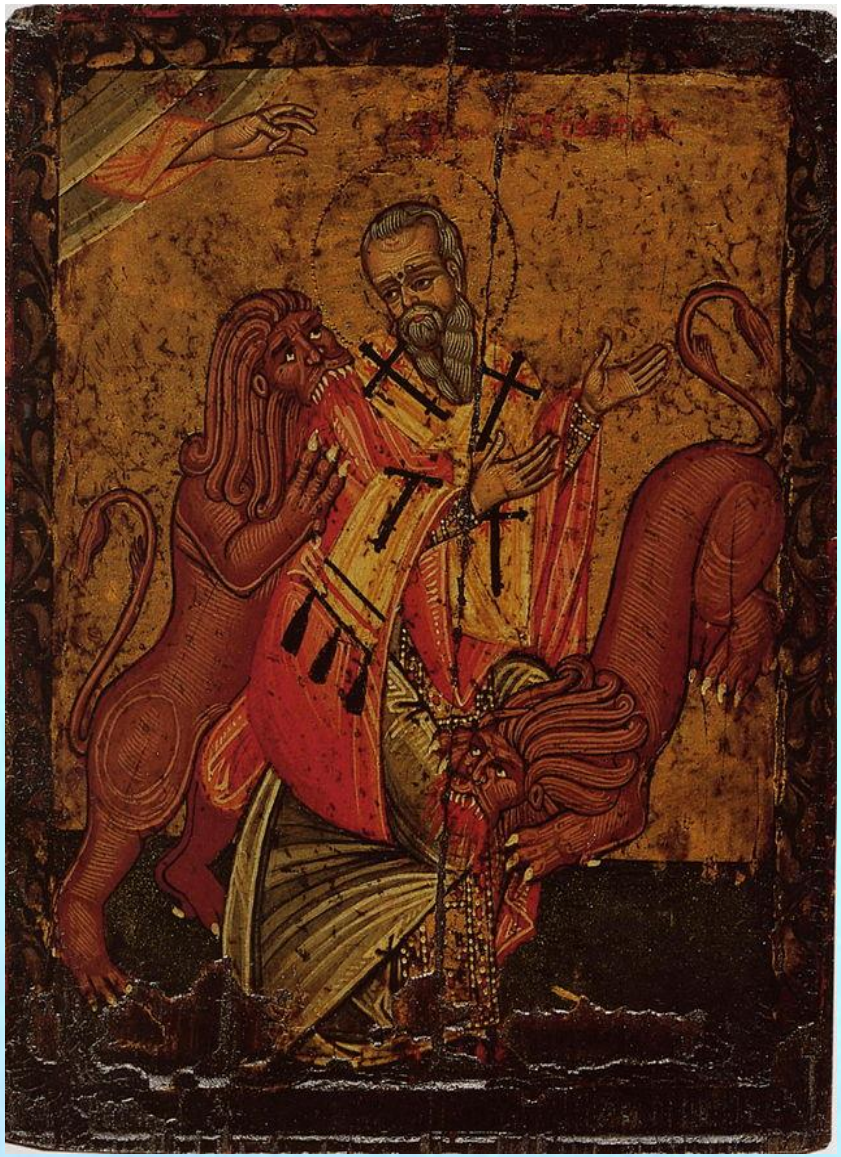

- هو أوَّل أب ومعلّم للكنيسة. كما أنَّهُ أوّل لاهوتيّ اعتلى الأسقفية بعد الرّسل عام 70م.
- يرى فيه التّقليدُ الأرثوذكسيّ الطفلَ الّذي حملَه يسوع على ذراعَيْه، ولكن ذلك غير مُؤَكّدٍ.
- سوريُّ الجنسيَّة، استشهد في رومية بأنياب الوحوش عام 107 ما يدلّ على أنَّه لم يكن يحملُ الجنسيَّة الرومانية لأنَّ الرومانَ لم يكونوا يُلقَون للوحوش.
- لهُ سبع رسائل موجودة في ثلاث مجموعات؛ واحدة سريانيّة قصيرة ومختصرة، أخرى طويلة مع غيرها منحولة، ثالثة أقرّ العلماء أنَّها صحيحة. وقد ذكرها أفسافيوس في تاريخه الكنسيّ.

حاربها البروتستانت لما فيها من ترتيب للدّرجات الكهنوتيّة الثلاث: الأسقف، الكاهن والشماس إضافة للتّنظيم الكنسيّ.

- هذه الرسائل ذكرها اوريجنس وايريناوس وأفسافيوس الّذي كتب الرّسائل وهو في طريقه إلى رومية.

- تحوي الرّسائل الحكمة، المعرفة، فَهمًا لأسس الإيمان. كما أنَها مملوءةٌ بالنّصائح والإرشادات الروحيّة، غنية بالعقائد خاصة إلى أهل أفسس، يتكلّم فيها عن الله الواحد في ثالوث، ألوهيّة يسوع ومساواته للآب، سرّ التجسد والفداء. فضْلًا عن أنَّهُ يؤكد أنّ الله إله وإنسان معًا وهو مولود من العذراء بالجسد.

- يدحض البدعتين: المسيحيّون المتهودون والظاهرية.

- **المسيحيون المتهودون:** التي تجمع بين الطقوس والممارسات اليهوديّة والمسيحيّة ومفادها أنّنا لم نأخذ النعمة بعد، وهذا يدحض كلّ تعليم الكنيسة.

- **الظاهريّة:** تقول أنَّ المسيح لم يأخذ جسدًا حقيقيًّا بل كان شبهًا، فلو صحَّ هذا الكلام فما معنى "القيود التي أحملها؟"
- التشديد على حقيقة موت المسيح وقيامته وهي أساس في حضور سرّ الإفخارستيّا الحقيقيّ، هذا ليس برمز ومن لا يُثابر على الكنيسة يقطع نفسه عن الشّركة.

الأسقف ومكانته

- يوجد شركة واحدة وكأس واحد وكنيسة واحدة وأسقف واحد.
- + **الخضوع للأسقف:** شَكَّكَ البعضُ بضرورة الاشتراك في سرّ الشُّكر لأنَّهم كانوا يشكّكون بدور الأسقف وحصريّته في إقامة الخِدَم الأسراريّة، فأكّد على أنّ الأسقف يلتصق بالمسيح وهو ينوب عنه في الكنيسة وطاعته هي طاعة لله وليست له.
- الله يغفر لكلّ التائبين شرط أن تقودَهم التَّوبةُ إلى الوحدةِ مع الله والشّركة مع الأسقف، كما أنَّ الشمامسةَ ليسوا خَدَمَةَ مأكلٍ ومشرب بل خَدَمَة الكنيسةِ.

+ محبَّة المسيح والآخرين: طلبَ القدّيس اغناطيوس مواجهة الغضب بالوداعة، والكبرياء بالتواضع، والشَّتائم بالصّلاة، والضَّلال برسوخِ الإيمان، "لا تردُّوا شرَّهم بِشَرّ كي لا نعطيَ فرصةً للشيطانِ بالدّخول إلى قلوبِنا" فلا نستطيع طرد الشيطانِ من قلوبنا إلّا بالإيمان بيسوع المسيح.

- يركّزُ القديّسُ على أهمّيّة استشهادِهِ ويقولُ: "اتركوني أصير طعامًا للوحوش فهي توصلُني سريعًا إلى الله"، كما يعطي بُعدًا افخارستيًّا لاستشهادِهِ ويقول "قرُبَتِ السَّاعةُ الَّتي سأولد فيها وأصلُ إلى النُّور الحقيقيّ".

+ العهد القديم وعلاقته بالجديد:

- بالنّسبة لاغناطيوس: المسيح هو نفسه محور العهدَيْن ويذكر كيف أنَّ العهدَ القديمَ هدفُهُ أن يقودَ للمسيح ويوصي بحبّ الأنبياء لأنَّهم بشّروا بالإنجيل ووضعوا رجاءَهم بيسوع المسيح.

+ الكنيسة الجامعة: هو أوّل من استخدم هذه العبارة.

والكنيسة الجامعة موجودة في كل رعية مهما كانت صغيرة، المهم أن يكون لها الإيمان نفسه والأسرار عينها.

إنَّ وحدةَ الكنيسةِ شرطٌ لعلاقةٍ صحيحةٍ بين الله والمؤمنين.

+ تكريم الزواج: يُكرِّم الزواج ويوصي بالتبتل (البتولية) لمن يستطيع، ويقول إنَّ الزواجَ سرٌّ ورباطٌ ولا يمكن أن يتمَّ من دون موافقة الأسقف.

+ شجرة الصَّليب: هو أوّل من استعمل هذه الكلمة أي شجرة الحياة و"أغصان الصّليب" هي كل ما غرسه الآب، إذ أنّه بإمكان أي لاهوتي مسيحي أن يستخدم لغة الوسط المحيط به من دون التأثر، كما يقول.

والسُّبح لله دائمًا

- **المرجع والمصدر**

الأخ المتوحّد د.غريغوريوس اسطفان، علم الآباء.